تدبّر الزّهراوين

سورة البقرة

د. رقية العلواني

تدبّر سورة البقرة

- هل تشعر بالقلق والخوف من آثار الحسد وشرور بعض الخلق؟
- هل تعاني من فقدان البركة في الوقت والجهد في حياتك؟
- هل ترغب في الشعور بالسلام والأمان الداخلي؟
- هل ترغب في تغيير حياتك للأفضل في كل شيء؟

إليك الإجابة في الصفحات التالية





تُدافع عن صاحبها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

يعاني الإنسان بطبيعته البشرية من مخاوف وهموم وأحزان شتى وتطلعات وأشواق متباينة، وما بين تلك المخاوف والتطلعات، تعرض له في طريقه حيرة وتخبط، وتزداد حاجته إلى علامات تحدد له الطريق وتسير به بعيدًا عن الخوف والقلق قريبًا من الأمل والعمل. من هنا كانت حاجة الإنسان إلى منهج الدلالة والرشاد.

إلا أن هذا المنهج لا يمكن أن يفي بحاجاته إلا حين ينزل على الإنسان من خالقه الذي يعلم خفايا النفس البشرية؛ ما يُحزنها وما يُسعدها، ما يضرّها وما ينفعها، ما يأتي لها بالخير والنفع والصلاح وما يدفع عنها من الشر والفساد.

والقرآن الكريم هو ذلك المنهج الذي يهدي الإنسان إلى سواء السبيل.

وسورة البقرة العظيمة الأولى بعد الفاتحة في ترتيب المصحف تشكّل الإطار العام لذلك المنهج الرباني حيث تأخذ بالإنسان نحو الهدى والصلاح، وتستلّ من قلبه كل دواعي الحيرة والتخبط والخوف والقلق، فترتقي به نحو العمل الصالح الذي لأجله خلقه الله.

تعلّيمها يُجلب البركة

جاء في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: ﴿**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ شَافِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ تَعَلَّمُوا الزَّهْرَاوَيْنِ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ**



كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ فَإِنَّ تَعْلِيمَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ﴾ .. مسند أحمد

والتعلّم الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم لا ينحصر في تلاوة أو حفظ في الصدور بل يتعداه ليصبح بمعنى السير على المنهج في واقع الحياة.

وسورة البقرة مع آل عمران سمّاهما النبي صلى الله عليه وسلم الزّهراوين، لنّور الهداية فيهما لمن تعلّمهما وعاش في نور هدي التعاليم والآداب التي وردت في السورتين.

كما أن سورة البقرة جاءت إجابة للسائل المتعطش للهداية بدعائه الذي يلحّ به العبد على ربّه في سورة الفاتحة حين يقول مرات عديدة في اليوم والليلة: (اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ). سورة البقرة تُفتتح بقوله عز وجل؛ ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾.



تعلّم البقرة يُجلب البركة ﭬ حياتك كلها

- تذكّر أن التعلّم لا ينفصل عن واقعكِ وسلوككِ وحياتكِ

- اعقد العزم والنيّة على تطبيق أوامرها وتكاليفها

- تذكرّ وأنت تقرأها أن تخضع للّه وآياته ﭬ حياتك

- سارع بتطبيق كل آية تتعلّمها

- قمْ بنزع كل الأقفال من نفسك؛ قلبك، عقلك، روحك، سمعك، بصرك

- استعنْ باللّه سبحانه وتوجّه إليه بصدق وتضرع ليكون عونًا لك على التخلص من كل موانع

استقبال الزّهروايـن

سورة البقرة يمكث صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم السنوات الطوال لتعلّمها كما ورد عن عبد الله بن عمر مكث يتعلَّم الْبَقَرَةَ فِي ثَمَانِ سِنِينَ. فقد أدركوا أن الغاية الأساس من حفظ آيات القرآن العظيم وسوره أن تُحفظ الآيات والتعاليم والأوامر في واقع الحياة والسلوك.

من هنا كانت الزّهروا ين تُدافعان عن صاحبهما يوم القيامة وتشفعان له، فهو الذي حفظهما بقلبه وسلوكه. ذاك الحفظ الذي يقتضي الصبر وتحمل القيام بالتكاليف والتضحية في سبيل ذلك.

وبهذا يزول اللبس الحاصل لدى البعض من فهم الأحاديث الواردة في فضل الزّهراوين وسورة البقرة تحديدًا؛ ﴿تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ فَإِنَّ تَعْلِيمَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ﴾ فإن أخذها بركة تفيض على الإنسان من خلال تلاوتها وتعلّمها وتطبيق أحكامها وأوامرها.

فالغاية الأساس من نزول القرآن العظيم أن يُحفظ في التعامل الفردي والجماعي في الاقتصاد في الأسرة في الزواج في الخِطبة في الرضاع في الطلاق كما سيأتي في موضعه.



سورة البقرة فيها أعظم آية في كتاب الله، عَنْ أُبَيٍّ بن كعب: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ قَالَ قُلْتُ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قَالَ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ لِيَهْنَ لَكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ الْعِلْمُ). سنن أبي داود، كتاب الصلاة.

هذه الآية التي لا يزال على الإنسان حافظ ولا يقربه شيطان إذا ما قرأ بها حين يأوي إلى فراشه حتى يصبح كما جاء في الحديث: (إذا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ) فتح الباري/شرح صحيح البخاري. كتاب الوكالة.

هل تعاني من المخاوف والقلق والوساوس والشكوك والأوهام في حياتك؟
هل تشعر أحيانا أن هموم الدنيا تُطبق على صدرك؟

- لا تنصرف عنك تلك السلبيات إلا بالتوجّه الخالص للّه وإعلان توحيده المتضمن لإيمانه.
- استقبل القرآن باليقين والإيمان بآياته
- خاطب عقلك وقلبك بيقين الانتفاع بتلك الآيات

(إنما ينتفع به - أي بالقرآن- من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان) ابن قيم الجوزية.



سورة البقرة خواتيمها لن تقرأ بحرف منها إلا أُعطيته.

جاء عن ابن عباس أنه قال: بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سمع نقيضًا من فوقِه فرفع رأسَه فقال: هذا بابٌ من السماءِ فُتِحَ اليومَ لم يُفتح قط إلا اليومَ فنزل منهُ ملكٌ فقال: هذا ملكٌ نزل إلى الأرضِ لم ينزل قط إلا اليومَ فسلَّم وقال: أبشِرْ بنورينِ أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك فاتحةُ الكتابِ وخواتيمُ سورةِ البقرةِ لن تقرأَ بحرفٍ منهما إلا أُعطيتَه. صحيح مسلم.

مقاصد سورة البقرة وأهدافها

المقصد الأساس في السورة تحقيق الهداية ونورها في حياة المؤمن التي تشكّل غايته وهدفه. ودعائم الهداية لا تقوم إلا على توحيدٍ خالصٍ صادقٍ (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) وكل آية في القرآن متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه كما يقول ابن القيم رحمه الله.

وتوضّح السورة العظيمة منذ بداياتها مهمة الإنسان على الأرض متمثلة في إعمارها والقيام بأوامر الله وتنفيذ منهجه الذي أنزله على رسله وأنبيائه، فيقوم بالمنهج الرباني في حياته وتعاملاته لإعمار الأرض وإصلاحها بالخير ومجابهة الفساد والإفساد بكل أشكاله.

وقدّمت السورة العظيمة في الجزء الأول منها مثالًا عمليًا لأمة من الأمم لم تقم بذلك الدور على الوجه المطلوب منها وفق المنهج الرباني المنزّل

إليها؛ أمة بني إسرائيل. تلك الأمة التي اختارها الله عز وجل وفضّلها على العالمين. ولم يكن ذلك التفضيل بناءً على قومية أو عِرِّق أو ما شابه، إلا أنه محض ابتلاء واختبار. فقد أوكل سبحانه لبني إسرائيل مهمة القيام بالتوحيد وفق ذلك المنهج الذي أنزله على النّبي موسى عليه السلام وبقية الأنبياء من بني إسرائيل.

وتعرض السورة في الجزء الأول مواقف متعددة لبني إسرائيل - في سياق التذكير والتّنبيه للأمة التي نزل عليها القرآن- وكيفية تعاملهم مع المنهج الرباني ومواقفهم مع دعوة أنبيائهم عليهم السلام التي أوصاهم الله سبحانه بتحمل التزاماتها: (خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)).

والسورة في تأكيد الاهتمام بالمنهج والوقوف عنده تقدّم رسالة لكل الأمم في تعاملها مع أوامر الله، فالأخذ بقوة يتضمن كل أشكال وأسباب القوة المادية والمعنوية في التنفيذ والتطبيق الواقعي.

فأخذ الكتاب بقوة يبدأ بالقلب والتعلق بأوامر الخالق سبحانه وينعكس على عمل الجوارح الفاعلة في الواقع ومحاولة حماية المنهج والدفاع عنه أمام مختلف التحديات التي يمكن أن تواجه الإنسان في نفسه ومجتمعه كما ساقت السورة أمثلة لذلك في بني إسرائيل.

وثمة ربط واضح بين ما ذكره الحديث أن سورة البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة يحاجّان عن صاحبهما، لأن صاحبهما دافع عنهما في الدنيا، دافع عن تلك الوصايا والأوامر الواردة في السورتين وربما دفع ماله وحياته ثمنًا

